ISSN: 2090 – 0449 Online
UIF Universal Impact Factor, [0.1101].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.02].

علاقة الأشعرية بالسلطة في الدولة السلجوقية (١٠٥٥ -١٠٩٢م/ ٤٤٧ -٤٨٤هـ)

أ.م. د. غسان محمود وشاح
أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي
رئيس قسم التاريخ والآثار
الجامعة الإسلامية (غزة) – فلسطين

مُلَخّصْ

تُعَدّ علاقة الأشعرية بالسلطة في الدولة السلجوقية من الظواهر الجديرة بالدراسة، لما فيها من عبر وعظات، فالروايات التاريخية تفيد بأن علاقة الدولة الأشعرية بالدولة السلجوقية في عهد طغرلبك كانت علاقة عداء وصدام، ولكن العلاقة تحولت بين الطرفين في عهد ألب أرسلان وملكشاه من بعده من حالة العداء إلى حالة التحالف، وهذا يسجل للدولة السلجوقية في عهد ألب أرسلان عندما واجهت نشاط الفكر المتطرف للفرق المنتشرة في العالم الإسلامي والتي هددت الوحدة الإسلامية مثل المعتزلة والباطنية والقرامطة والإسماعيلية بالأشعرية، فكانت الأشعرية السلاح الأنسب لمواجهة التطرف. وقد استخدم الباحث المنهج التاريخي في هذه الدراسة وتم تقسيمها إلى مقدمة وثلاثة مباحث ثم خاتمة، وثبت لأهم المصادر والمراجع. أما المقدمة فقد احتوت على نبذة مختصرة عن الموضوع وأهميته ومنهج الدراسة وتقسيماتها. والمبحث الأول فقد كان بعنوان "تعريف بالسلاجقة والأشعرية، وأما المبحث الثاني تناول "العلاقة بين الدولة السلجوقية والأشاعرة في عهد طغرلبك"، أما المبحث الثالث فقد ناقش "علاقة الأشاعرة مع السلاجقة في عهد ألب أرسلان وابنه ملكشاه". وختمت الدراسة بخاتمة اشتملت على أهم لنتائج الدراسة، ثم قائمة المصادر والمراجع.

بيانات الدراسة:
تاريخ استلام البحث: ١٤ أبريل ٢٠١٨
تاريخ قبـول النشـر: ٢١ أبريل ٢٠١٨

كلمات مفتاحية:
الأشعرية، السلاجقة، ألب أرسلان، ملكشاه، الفرق الدينية

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0052965

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
غسان محمود وشاح. "علاقة الأشعرية بالسلطة في الدولة السلجوقية (١٠٥٥-١٠٩٢م / ٤٤٧-٤٨٤هـ)".- دورية كان التاريخية.- السنة الحادية عشرة- العدد الأربعون: يونيو ٢٠١٨. ص٥٨ – ٦٦.

مُقَدِّمَةٌ

تُعَدّ العلاقة بين الأشعرية والدولة السلجوقية من الظواهر التاريخية الجديرة بالدراسة والتحليل، لما فيها من عبر ودروس وعظات؛ فمع بداية قيام دولة السلاجقة كانت العلاقة بين الطرفين علاقة عداء، وصدام، ولكن في عهد السلطان ألب أرسلان حدث انقلاب إيجابي على هذه العلاقة، فبدأت الدولة السلجوقية تقرب علماء الأشعرية، وتغدق عليهم، وتجري عليهم الأرزاق والمنح وتفتح لهم أبواب المدارس النظامية للعمل فيها، ويرجع سبب هذا التحول إلى استخدام الدولة السلجوقية؛ متمثلة بالوزير نظام الملك الطوسي للأشعرية سلاحًا؛ لمواجهة الفرق المنحرفة التي انتشرت في العالم الإسلامي، وشكلت تهديدًا عسكريًا، وأمنيًا، للعالم الإسلامي، والذي يسجل للسلاجقة نجاحهم في هذه المواجهة.

ترجع أهمية الدراسة إلى ندرة الدراسات الأكاديمية الجادة التي تناولت الموضوع على الرغم من أهميته، ورصد أسباب العداء بين السلاجقة والأشعرية في عهد طغرلبك، والتركيز على تجربة السلاجقة الناجحة في مواجهة الفرق الضالة التي شكلت تهديدًا وجوديًا للإسلام، بالإضافة إلى إظهار دور الأشعرية في المعركة الفكرية التي شهدها العالم الإسلامي في العصر السلجوقي مع الفرق الضالة.

دراسات

المبحث الأول: تعريف بالسلاجقة والأشعرية

أولاً: أصل السلاجقة وتأسيس دولتهم

تعود أصول السلاجقة إلى أسرة تركية كبيرة، كانت تقيم في بلاد ما وراء النهر، وتنسب إلى زعيمها سلجوق بن تُقاق، الذي اشتهر بكفاءته الحربية، وكثرة أتباعه[١]، وهاجر السلاجقة بزعامة طغرلبك في الربع الأول من القرن الخامس الهجري إلى خراسان الخاضعة لنفوذ الغزنويين، وبعد سلسلة من الصراع بين الغزنويين والسلاجقة، استطاع السلاجقة السيطرة على خراسان بعد هزيمة الغزنويين بقيادة سنة (٤٣١هـ/ ١٠٤٠م)[٢]. واستطاع السلاجقة توطيد سلطانهم عبر انتماؤهم إلى المذهب السني، وإعلانهم الولاء والتبعية للخليفة العباسي القائم بأمر الله، الذي عين طغرلبك نائبًا عنه في خراسان وبلاد ما وراء النهر وفي كل ما يتم فتحه من البلاد، وقد استطاع السلاجقة توسيع حدود مملكتهم بسرعة هائلة. وبدأ طغرلبك يتطلع للسيطرة على بغداد، وقد هيأت له الأوضاع السائدة في العراق تحقيق هذا الهدف سنة (٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م)، وأسقط دولة البويهيين، وأصبح أولَ سلاطين السلاجقة في بغداد، وقد استقبله الخليفة القائم بأمر الله بكل مظاهر الحفاوة والترحاب، رأى السلاجقة في الخلافة السُّنية رمزًا دينيًا يعبر عن وحدة الأمة الإسلامية وعزتها، ونظروا إلى الخليفة على أنه تجسيد حي لهذا الرمز، فأحاطوه بهالة من التقدير والإكبار[٣].

كان طغرلبك حريصًا على إبداء كل مظاهر الإجلال والتوقير للخليفة، وقد اقتدى به خلفاؤه؛ فعاملوا الخلفاء العباسيين بكل ما يليق بمكانتهم من احترام وتعظيم، وقد أراد طغرلبك أن يمنح نفسه وأسرته شرفًا فريدًا متميزًا، وأن يضفي على سلطانه السياسي صبغة روحية، فخطب ابنة الخليفة القائم بأمر الله وتزوجها سنة (٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م)[٤]. عين طغرلبك عميد الملك الكندري وزيرًا له، فكان ساعده الأيمن ويعتبر عميد الملك أحد العوامل المهمة في ازدهار الدولة السلجوقية في عهد طغرلبك بفضل ما كان يتمتع به من حنكة وكفاءة، كما كان سببًا مكّن السلاجقة من السيطرة على العراق ودار الخلافة، وإدخال الخليفة ووزرائه وحاشيته في طاعة السلاجقة دون إراقة دماء[٥].

١/١- وفاة طغرلبك وتولي ألب أرسلان:

في سنة (٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م) طغرلبك بمدينة الري وعمره نحو سبعين عامًا، وتولّى ألب أرسلان سلطنة السلاجقة[٦]، وعين نظام الملك وزيرًا له، وكان وزيره أثناء إمارته على خراسان قبل توليه السلطنة، ويُعدُّ نظام الملك أشهر وزراء السلاجقة وقد ظل نظام الملك وزيرًا للسلطان ألب أرسلان ثم لخليفته ملكشاه ما يقرب من ثلاثين عامًا.[٧] واستطاع خلال حكم ألب أرسلان (٤٥٥ - ٤٦٥هـ/ ١٠٦٣-١٠٧٣م) أن يوسع حدود مملكة السلاجقة التي ورثها عن عمه طغرل، وأن يسجل انتصارات رائعة ضد أعدائه في الداخل والخارج، فنجح في القضاء على حركات العصيان في خراسان أذربيجان، واستولى على حلب وقضى على النفوذ الفاطمي بها.[٨]

لكن أشهر ما حدث خلال فترة حكمه هو معركة ملاذكرد حيث عزم الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع على طرد السلاجقة من أرمينيا وضمها إلى النفوذ البيزنطي، فأعد جيشًا كبيرًا سنة (٤٦٣هـ/ ١٠٧١م) يتكون من مائتي ألف مقاتل، وتولّى قيادته بنفسه، وزحف به إلى أرمينيا، وعندما علم السلطان ألب أرسلان بذلك وهو بأذربيجان لم يستطع أن يجمع من المقاتلين إلا خمسة عشر ألف فارس، فتقدم بهم إلى لقاء الإمبراطور البيزنطي وجحافله، والتقى جيش السلطان وجيش الإمبراطور في مدينة ملاذكرد بأرمينيا، وحمل المسلمون على الروم حملة رجل واحد، وأنزل الله نصره عليهم فانهزم الروم وامتلأت الأرض بجثثهم، وتمكن المسلمون من أسر إمبراطور الروم رومانوس، فأحسن السلطان ألب أرسلان معاملته، وأعفاه من القتل مقابل فدية مقدارها مليون ونصف مليون دينار، وعقد معه صلحًا مدته خمسون عامًا، وأطلق سراحه وقد أنهت معركة ملاذكرد النفوذ البيزنطي في أرمينيا بصورة مطلقة، وفتحت المجال لامتداد النفوذ الإسلامي السلجوقي إلى آسيا الصغرى، وتهديده العاصمة البيزنطية وما وراءها في أوروبا.[٩]

٢/١-مقتل ألب أرسلان وانتقال السلطة إلى ابنه ملكشاه:

في أوائل عام (٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م) توجه ألب أرسلان إلى بلاد ما وراء النهر لتأديب أمير بخارى الثائر وبينما هو في طريقه، قتل على يد يوسف الخوارزمي أمير إحدى القلاع الثائرة بعد أن طعنه بخنجر كان معه، فمات السلطان ألب أرسلا نبعد أيام متأثرًا بجراحه وعمره أربعون أو خمس وأربعون سنة[١٠]، وعقب وفاة ألب أرسلان تولى السلطنة ابنه ملكشاه بعهد من أبيه، وتولى نظام الملك أخذ البيعة له، وأقره الخليفة القائم بأمر الله على السلطنة[١١].

وبلغت الدولة السلجوقية ذروة مجدها وعظمتها على يد ملكشاه الذي استمر في السلطنة عشرين عامًا تقريبًا؛ حيث استطاع أن يستثمر ما حققه طغرلبك وألب أرسلان على أحسن وجه، فحقق إنجازات عظيمة بمعاونة وزيره نظام الملك، وقد اتسعت حدود الدولة في عهد ملكشاه اتساعًا غير مسبوق، من حدود الصين إلى آخر الشام، ومن أقاصي بلاد الإسلام في الشمال إلى آخر بلاد اليمن، وحمل إليه ملوك الروم الجزية[١٢].

وترجع عظمة الدولة السلجوقية في عهد ملكشاه إلى اتساع حدودها وازدهار الحركة الثقافية فيها بصورة جديرة بالإعجاب، وكان لنظام الملك أثر متميز وجهد خلاق في ذلك، على المستوى الإداري والعسكري، والثقافي، فاهتم بإنشاء العديد من المدارس التي نسبت إليه في أنحاء الدولة، فسميت بالمدارس النظامية، وقد أسهمت هذه المدارس النظامية في تثبيت قواعد المذهب السني والدفاع عنه ضد مختلف البدع والأهواء والمذاهب المنحرفة التي انتشرت في ذلك الوقت[١٣].

٣/١-مقتل نظام الملك ووفاة ملكشاه:

قتل نظام الملك في سنة (٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م)، حين تقدم إليه أحد غلمان الباطنية وهو في ركب السلطان في صورة سائل أو مستغيث، فلما اقترب منه أخرج سكينًا كان يخفيها في طيات ملابسه فطعنه بها طعنات قاتلة، وقد تُوفي ملكشاه بعد بخمسة

وثلاثين يومًا، فانطوت صفحة من أكثر صفحات التاريخ السلجوقي تألقًا وعظمة[١٤]. بدأت مظاهر الضعف تنتشر في جسم الدولة السلجوقية عقب وفاة ملكشاه، فظهر الانقسام والتمزق والفتن، وانقسمت الدولة السلجوقية إلى عدة أقسام[١٥] وهي:

سلاجقة العراق: ويطلق هذا المصطلح على أمراء السلاجقة الذين سيطروا على العراق والري وكردستان، واستمر نفوذهم من سنة (٥١١-٥٩٠هـ/ ١١١٧-١١٩٤م)، حين تمكن الخوارزميون من القضاء على "طغرل الثالث" آخر سلاطينهم.

سلاجقة كرمان: وقد بدأ نفوذهم في الجنوب الشرقي لفارس وفي بعض مناطق الوسط سنة (٤٣٣هـ/١٠٤٢م)، قبل دخول طغرلبك بغداد واستمر حتى سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)، حين قضى التركمان الغز على سلطتهم هناك.

سلاجقة الشام: وكان نفوذهم في المناطق التي استولى عليها السلاجقة من الفاطميين أو الروم في الشام، وقد بدأ نفوذهم في هذه المناطق سنة (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، وانتهى سنة (٥١١هـ/ ١١١٧م) على يد أتابكة الشام.

سلاجقة الروم: وكان نفوذهم في الأراضي التي استطاع السلاجقة الاستيلاء عليها من الروم في آسيا الصغرى، وكانت إمارتهم أطول إمارات السلاجقة عمرًا؛ حيث بدأت سنة (٤٧٠هـ/ ١٠٧٨م)، واستمرت حتى سنة (٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م) حين استطاع الأتراك العثمانيون القضاء عليها.

ثانيًا: نبذة تعريفة عن الأشاعرة

١/٢-الأشاعرة:

هي فرقة كلامية إسلامية، تنسب لأبي الحسن الأشعري الذي خرج على المعتزلة، وقد اتخذت الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاجة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم، لإثبات حقائق الدين، وقد ظهرت في القرن الثالث الهجري، فأصبح الانتساب إلى الأشعري هو ما عليه أكثر الناس في البلدان الإسلامية، وما يجدر أن مؤسسها أبو حسن الأشعري لم يدم فيها إذ رجع إلى مذهب السلف، فصار أتباعه على أقسام، فبعضهم على معرفه بمذهبه الصحيح وآرائه التي استمر عليها أخيرًا، وبعضهم على جهل تام بذلك وبعضهم يتجاهل ويصر على مخالفته، مع انتساب إليه.[١٦]

٢/٢-مجمل أصول الاعتقاد عند الأشاعرة:

الأشاعرة يبتون لله سبع صفات يسمونها: صفات المعاني وهي: العلم، والقدرة والإرادة، والحياة، والسمع، والبصر والكلام، يؤولون بقية الصفات، أما في القرآن فقالوا: المعاني مسموعة حقيقة، والألفاظ مخلوقة، وفي القدر: أردوا التوفيق بين الجبرية والقدرية، فجاءوا بنظرية الكسب، وهي في مآلها جبرية خالصة، لأنها تنفي أي قدرة للعبد أو تأثير، وفي أخبار الآحاد قالوا: لا تفيد العلم، فلا يحتاج بها في العقائد، والأشاعرة يجعلون اهتماهم كله في إثبات انفراد الله بالخلق والاختراع (إثبات الربوبية)، ولا يهتمون بتوحيد الألوهية الذي هو أصل بعثة الرسل، وقلما يذكرونه في كتبهم؛ لذا انخرط كثير منهم في بدع الصوفية والطرق الشركية.[١٧] وقد تفرعت من هذه الأصول الكبار مسائل متعددة متفرقة، كانوا في كل واحدة منها سالكين ومتابعين لأقوال طائفة أو فرقة من الفق المنحرف عن منهج أهل السنة.

٣/٢-منهج الأشاعرة في العقيدة:

يمتثل الأشاعرة منهجًا مستقلاً في كيانه الفكري، فالأشاعرة فرقة كلامية انشقت عن أصلها (المعتزلة)، ووافقت السلف في بعض القضايا، وتأثرت بمنهج الوحي ولذلك يعد الأشاعرة العقل مصدر التلقي، فهم يجعلون العقل هو الأساس والنقل تبعًا له وقد استعانوا بقضايا فلسفية ومسائل عقلية خاض فيها الفلاسفة، وسلكها المناطقة، قال الفخر الرازي: " ولو جوزنا القدح في الدلائل النقلية عن كونها مفيدة، فثبت أن القدح لتصحيح النقل يفضي إلى القدح في العقل والنقل معا، إنه باطل، فالدلائل النقلية بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة إما أن تكون غير صحيحة، إلا أن المراد منها غير ظواهرها، وهذا أمر نقطع به"[١٨]. فهذه الانحرافات، وهذا الابتداع في الشرع ما ليس منه لدى أصحاب الأهواء والبدع نتج بسبب فساد دينهم بالاعتقاد الباطل، ومن شرح الله صدره إلى الإسلام، وحبب إليه طريق الإيمان، ووفقه لسلك طريق الهدى، وتردك الردى لا يسلك في طلب معرفة الله طريق أهل المراء والجدال؛ حتى يقول: لا أنظر في المعجزة أو الأدلة السمعية حتى اعلم صدق صاحبها ولا أعلم صدقه حتى أنظر فيها، وتحول ذلك من مدفعة الحق، ودعاة من ليس بموفق، واصطلاح من ليس فيه صلاح، ولا لاح عليه فلاح؛ بل يبادر إلى النظر فيها، لاحتمال صدقها المترتب على التصديق به السعادة الكبرى، وعلى التكذيب به الشقاوة العظمى، فإذا علم صدقها سارع إلى التصديق بها، والعلم النافع والعمل ولم يشتغل بعلم المغالطات، والتشدق بالجدل، كاشتغال الخالين عن الخوف والوجل، الناسين لذكر الله[١٩].

٤/٢-أبي الحسن الأشعري مؤسس فرقة الأشاعرة:

هو الشيخ أبو الحسن علي بنُ إسماعيل بن أبي بِشر، إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أمير البصرة بلال بن أبي بُردة ابن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي موسى عبد الله بن قيس بن حضار، الأشعري اليماني البصري[٢٠]، والأشعري: بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح العين المهملة وبعدها راء، هذه النسبة إلى أشعر، وإنما قيل له أشعر، لأن أمه ولدته والشعر على بدنه،[٢١] والإمام الأشعري بصري سكن بغداد إلى أن توفي بها[٢٢]، ولد -رحمه الله-سنة ستين ومائتين هجرية بالبصرة، وقيل سنة سبعين ومائتين[٢٣].

مارس الأشعري علم الكلام على مذهب الاعتزال مدّة مديدة وبرع فيه إلى أوائل العقد الخامس من عمره، وعند ذاك السن تكون عقيدة الاعتزال صورة راسخة وملكة متأصِّلة في نفسه، فمن المشكل جدًّا أنْ ينخلع الرجل دفعة واحدة عن كلّ ما تعلَّم وعلَّم، وناظر وغَلب أو غُلب، وينخرط في مسلك يُضادّ ذلك ويُغايره بالكليّة. نعم، نتيجة بروز الشكّ والتردُّد هو عدوله عن بعض المسائل وبقاؤه على مسائل أُخر، وأمّا العدول دفعة واحدة عن جميع ما مارسه وبرع فيه، والبراءة من كلّ ما يمتُّ إلى منهج

الاعتزال بصلة، فلا يُمكن أنْ يكون أمرًا حقيقيًّا جديًّا من جميع الجهات، فالنتيجة أنّ تركه لمذهب الاعتزال ما هو إلّا نتاجٌ للرياح السياسيّة الضاغطة في ذلك الوقت ويكفي في بيان فضل أبي الحسن الأشعري ثناء الحافظ البيهقي عليه وهو محدث زمانه وشيخ أهل السنة في وقته، قال البيهقي: إلى أن بلغت النوبة إلى شيخنا أبي الحسن الأشعري فلم يحدث في دين الله حدثا ولم يأت فيه ببدعة، بل أخذ أقاويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة في أصول الدين فنصرها بزيادة شرح وتبيين.[٢٤]

كان الشيخ الأشعري سيدا في التصوف واعتبار القلوب، كما هو سيد في علم الكلام وأصناف العلوم، كما نقل ابن السبكي في طبقاته وقال: وذكر من صحبه أنه مكث عشرين سنة يصلي الصبح بوضوء العتمة[٢٥]، وتوفي - رحمه الله - سنة (٣٢٤هـ/ ٩٣٦م) في بغداد.[٢٦]

٥/٢-أبرز أئمة الأشاعرة وعلمائهم:

(٥/٢) ١-القاضي أبو بكر الباقلاني: (ت. ٤٠٢هـ/ ١٠١٢م)

هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، من كبار علماء الكلام، هذَّب بحوث الأشعري، وتكلَّم في مقدمات البراهين العقلية للتوحيد وغالى فيها كثيرًا إذ لم ترد هذه المقدمات في كتاب ولا سنة، ثم انتهى إلى مذهب السلف وأثبت جميع الصفات كالوجه واليدين على الحقيقة وأبطل أصناف التأويلات التي يستعملها المؤولة وذلك في كتابه: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ولد في البصرة وسكن بغداد وتوفي فيها، وجهه عضد الدولة سفيرًا عنه إلى ملك الروم، من كتبه: إعجاز القرآن، الإنصاف، مناقب الأئمة، دقائق الكلام، الملل والنحل، الاستبصار، تمهيد الأوائل، كشف أسرار الباطنية.[٢٧]

(٥/٢) ٢-أبو إسحاق الشيرازي: (ت. ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م)

وهو إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي الشيرازي، العلامة المناظر، ولد في فيروز أباد بفارس وانتقل إلى شيراز، ثم البصرة ومنها إلى بغداد سنة (٤١٥هـ/ ١٠٢٤م)، وظهر نبوغه في الفقه الشافعي وعلم الكلام، فكان مرجعًا للطلاب ومفتيًا للأمة في عصره، وقد اشتهر بقوة الحجة في الجدل والمناظرة، بنى له الوزير نظام الملك: المدرسة النظامية على شاطئ دجلة، فكان يدرس فيها ويديرها.[٢٨]

(٥/٢) ٣-أبو حامد الغزالي: (ت. ٥٠٥هـ/ ١١١٢م):

وهو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ولد في قصبة طوس خراسان وتُوفِّي بها، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد، فالحجاز، فبلاد الشام، فمصر ثم عاد إلى بلدته، لم يسلك الغزالي مسلك الباقلاني، بل خالف الأشعري في بعض الآراء وخاصة فيما يتعلق بالمقدمات العقلية في الاستدلال، وذم علم الكلام وبيَّن أن أدلته لا تفيد اليقين كما في كتبه المنقذ من الضلال، وكتاب التفرقة بين الإيمان والزندقة، وحرم الخوض فيه فقال: "لو تركنا المداهنة لصرحنا بأن الخوض في هذا العلم حرام". اتجه نحو التصوف، واعتقد أنه الطريق الوحيد للمعرفة، وعاد في آخر حياته إلى السنة من خلال دراسة صحيح البخاري.[٢٩]

(٥/٢) ٤-أبو إسحاق الإسفراييني: (ت. ٤١٨هـ/ ١٠٢٧م)

وهو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، أبو إسحاق عالم بالفقه والأصول وكان يلقب بركن الدين وهو أول من لقب به من الفقهاء، نشأ في إسفرايين ثم خرج إلى نيسابور وبنيت له مدرسة عظيمة فدرس فيها، ورحل إلى خراسان وبعض أنحاء العراق، فاشتهر في العالم الإسلامي، ألَّف في علم الكلام كتابه الكبير، الذي سماه الجامع في أصول الدين والرد على الملحدين، قال ابن خلكان: رأيته في خمسة مجلدات، توفي أبو إسحاق الإسفراييني في يوم عاشوراء سنة (٤١٠هـ/ ١٠١٩م) بنيسابور ثم نقل إلى إسفرايين ودفن بها.[٣٠]

(٥/٢) ٥-إمام الحرمين أبو المعالي الجويني: (ت. ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)

وهو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الفقيه الشافعي ولد في بلد جوين (من نواحي نيسابور) ثم رحل إلى بغداد، ثم مكة فمكث فيها أربع سنوات، وذهب إلى المدينة المنورة فعمل بالفتوى ودرّس فيها، ثم عاد إلى نيسابور فبنى له فيها الوزير نظام الملك المدرسة النظامية، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء، وبقي على ذلك حوالي ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع، ودافع فيها عن الأشعرية فشاع ذكره في الآفاق، إلا أنه في نهاية حياته رجع إلى مذهب السلف، توفي رحمه الله بنيسابور وكان عدد تلامذته نحو أربعمائة وكان له من مؤلفاته: العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، البرهان في أصول الفقه، ونهاية المطلب في دراية المذهب في فقه الشافعية، والشامل في أصول الدين.[٣١]

(٥/٢) ٦-الفخر الرازي: (ت. ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م)

هو أبو عبد الله محمد بن عمر الحسن بن الحسين التيمي الطبرستاني الرازي المولد، الملقب فخر الدين المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي قال عنه صاحب وفيات الأعيان "إنه فريد عصره ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام، والمعقولات" وهو المعبر عن المذهب الأشعري في مرحلته الأخيرة حيث خلط الكلام بالفلسفة، بالإضافة إلى أنه صاحب القاعدة الكلية التي انتصر فيها للعقل وقدمه على الأدلة الشرعية.[٣٢]

المبحث الثاني: العلاقة بين الدولة السلجوقية والأشاعرة في عهد طغرلبك (اضطهاد الأشاعرة)

كانت علاقة سلطان السلاجقة الأول طغرلبك مع علماء الأشعرية وأنصارها علاقة عداوة، حيث شهدت فترة حكمه حالات اضطهاد وملاحقة لمشايخ وعلماء الأشعرية، ابتدأت عام (٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م) عندما أمر طغرلبك بلعن كل الطوائف المخالفة "للسنة" على المنابر، ومنها المعتزلة والأشعرية، بعدما نقل إليه أن الشيخ أبا الحسن الأشعري يقول بشيء من الأمور التي لا تليق بالدين والسنة فأمر بلعنه وصرح أهل نيسابور بتكفير من يقول ذلك.[٣٣]

فضج من ذلك الشيخ الأشعري أبو القاسم القشيري، وصنف رسالة شكاية السنة لما نالهم من المحنة، وكان قد رفع إلى السلطان طغرلبك شيء من مقالات الأشعري فقال أصحاب الأشعري: هذا محال وليس هذا مذهبة فقال السلطان: إنما نأمر بلعن الأشعري الذي قال هذه المقالة فإن لم تدينوا بها ولم يقل الأشعري شيئًا منها فلا عليكم مما نقول، قال القشيري: فأخذنا في الاستعطاف، فلم تسمع لنا حجة، ولم تقض لنا حاجة، وأحلنا على بعض العلماء، فحضرنا وظننا أنه يصلح الحال، فقال: الأشعري عندي مبتدع يزيد على المعتزلة.[٣٤]

ويرجع سبب عداوة السلطان طغرلبك للأشعرية في ذلك الوقت إلى وزيره عميد المالك منصور بن محمد الكندري، الذي يترأس حملة الكيد والاضطهاد ضد الأشاعرة فتتحدث عنه المصادر التاريخية أنه معتزليًا رافضيًا[٣٥] خبيث العقيدة كان يقول بخلق الأفعال وغيره من قبائح القدرية وسب الشيخان وسائر الصحابة، وغير ذلك من قبائح شر الروافض وتشبيهه الله بخلقه وكان له مع ذلك تعصب عظيم، فحسَّن للسلطان لعن المبتدعة على المنابر فعند ذلك أمر السلطان أن تلعن المبتدعة على المنابر فاتخذ الكندري ذلك ذريعة إلى ذكر الأشاعرة وصار يقصدهم بالإهانة والأذى، وعزلهم عن خطابة الجامع واستعان بطائفة من المعتزلة الذين زعموا أنهم يقلدون مذهب أبي حنيفة، واتخذوا التمذهب بالمذهب الحنفي سياجًا عليهم، فحببوا إلى السلطان (والذي رجلاً صالحًا صاحب عقيدة، حنفي المذهب)[٣٦] الإزراء بمذهب الشافعي عمومًا والأشعرية خصوصًا.[٣٧]

وهناك سبب آخر دفع الكندري للحقد على الأشاعرة والدس عليهم عند السلطان طغرلبك هو منافسة رئيس نيسابور أَبَا سهل بْن الموفق، ذا الأموال الكثيرة، والصدقات الدارة، وكان مرموقًا بالوزارة، وداره مجتمع العلماء، ملتقى الأئمة من الفريقين: الحنفية والشافعية، في داره يتناظرون، وكان عارفا بأصول الدين على مذهب الأشعري، قائما في ذلك مناضلاً في الذب عنه، فعظم ذلك على الكندري؛ بما في نفسه من المذهب، ومن بغض ابن الموفق بخصوصه، وخشيته منه أن يثب على الوزارة.[٣٨] نتج عن ذلك فتنة وأحداث ذكرها السبكي بالتفاصيل في طبقات الشافعية فقال:" هي الفتنة التي طار شررها فملأ الآفاق وطال ضررها فشمل خراسان والشام والحجاز والعراق وعظم خطبها وبلاؤها وقام في سب أهل السنة خطيبها وشفهاؤها إذ أدى هذا الأمر إلى التصريح بلعن أهل السنة في الجمع وتوظيف سبهم على المنابر".[٣٩]

وتبع ذلك أمر من قبل السلطان طغرلبك بالقبض على مجموعة من علماء الأشعرية منهم الرئيس الفراتي، والأستاذ أَبِي القاسم القشيري، والجويني إمام الحرمين، وأبي سهل بْن الموفق، ونفيهم ومنعهم عن المحافل، وكان أَبُو سهل غائبًا، ولما قرأ الكتاب بنفيهم أغرى بهم الغاغة والأوباش، فأخذوا بالأستاذ أَبِي القاسم القشيري والفراتي يجرونهما ويستخفون بهما، وحبساهما، وأما إمام الحرمين، فإنه كان أحس بالأمر واختفى، وخرج على طريق كرمان إلى الحجاز، وبقي القشيري والفراتي مسجونين أكثر من شهر، إلى أن تحرك أَبُو سهل بْن الموفق من ناحية باخرز وجمع من أعوانه رجالا عارفين بالحرب، وأتى باب البلد، وطلب إخراج الفراتي والقشيري، فما أجيب بل هدد بالقبض عليه، بمقتضى ما تقدم من مرسوم السلطان، فلم يلتفت وعزم على دخول البلد ليلا، وإخراجهما مجاهرة، وتم له ذلك فعلاً وتم إخراج المسجونين عنوة، ولكن لما انتصر أَبُو سهل، وتم له ما ابتغى تشاور هو وأصحابه فيما بينهم، وعلموا أن مخالفة السلطان لها تبعة، وأن الخصوم لا ينامون، فاتفقوا على الهجرة إلى ناحية استواء، ثم يذهبون إلى الملك، وبقي بعض الأصحاب مفرقين بالنواحي، وذهب أَبُو سهل إلى المعسكر، وكان على مدينة الري، وخرج خصمه من الجانب الآخر، فتوفيا بالري، وانتهى إلى السلطان ما جرى، وسعى بأصحاب الشافعي، وبالإمام أَبِي سهل خصوصًا، فقبض على أَبِي سهل، وحبس في بعض القلاع، وأخذت أمواله، وبيعت ضياعه، ثم أُفرج عنه وخرج، وذهب للحج كما فعل كثير من العلماء هربًا من هذه الفتنة.[٤٠]

يتضح من ذلك أن عدة أمور أثرت في سير العلاقة بين السلاجقة والأشاعرة في عهد السلطان طغرلبك كان أهمها حالة الصراع بين الفرق والمذاهب الدينية السائدة في ذلك الوقت، فكان عادة ما يستغل أعداء الأشاعرة ذلك في الربط بين الأشعرية والمعتزلة ويلفقوا لهم الأقوال وينقلوها إلى السلطان، كما كان انتماء السلطان ووزيره للمذهب الحنفي دور بارز في تغذية اتجاه اضطهاد الأشاعرة، وطبعًا دور بطانة السلطان وخاصة وزير الكندري الذي تصدر الإساءة وإعلان الحرب على علماء مشايخ الأشعرية كان محوريًا في تشكيل موقف السلطان من الأشاعرة.

المبحث الثالث: علاقة الأشاعرة مع السلاجقة في عهدي ألب أرسلان وملكشاه.

في عام (٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م) توفي السلطان طغرلبك وقد أوصى لولد أخيه سليمان بن داود، وكان ظغرلبك قد نص عليه وأوصى إليه، لأنه كان قد تزوج بأمه، واتفقت الكلمة عليه، ولم يبق عليه خوف إلا من جهة عضد الدولة ألب أرسلان، محمد بن داود، فكان الجيش يميل إليه، وقد خطب له أهل الجبل ومعه نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق وزيره، واستطاع ألب أرسلان القبض على وزير طغرلبك الكندري الذي بايع لسليمان، فسجنه ثم أمر بقتله[٤١]، وبذلك انتهى أمر عدو الأشاعرة الأول وأصبحت السلطنة لألب أرسلان.

بوفاة السلطان طغرلبك ووزيره الكندري انتهت مرحلة من مراحل علاقة الدولة السلجوقية بالأشاعرة، وبدأت مرحلة جديدة مغايرة تمامًا، ويمكن القول إنه حدث انقلاب في تلك العلاقة، فبدأ ألب أرسلان سياسة جديدة مع الأشعرية فأسقط سياسة نظام السلطان السابق جميعه وأعاد العلماء المهجرين، كأبو القاسم القشيري والإمام أبو المعالي الجويني إلى أوطانهم وأكرمهم، وأمر بوقف سب الأشعرية على المنابر ووقف كل

حـمالات التحـريض والاضـطهاد بحقهـم، وأظهـر حـب واحـترام كبيرين لعلماء الشافعية والأشعرية[٤٢].

ويمكن القول إن السـبب في هـذا التغير السريع في موقـف دولة السلاجقة يعود للحسن بن علي بن إسحاق الطوسي الملقب "بنظام الملك" فقد عينه السـلطان وزيـرًا لـه، فكـان رجـلاً قـديرًا وقويًا والرجل الأول في دولـة السـلاجقة، اسـتمر في وزارتـه حتـى عهد ملكشاه[٤٣]، وكان سنيًا متحمسًا فحفظه أبوه القرآن وشغله في التفقه على مذهب الشـافعي[٤٤] وكـان ونصـيرًا للأشـعرية[٤٥]، فكان له دور إرجاع علماء الأشعرية من الحجاز ومنع سبهم على المنابر.

أولاً: السلاجقة وانتشار الأشعرية

لم يكتفي نظـام الملـك برفـع الظلـم عـن الأشـعرية بـل بـدأ بسياسة جديدة أفضت إلى انتشار المـذهب الأشـعري في منـاطق الدولة السلجوقية، وكـذلك أصـبحت العقيـدة الأشـعرية عقيـدة شبه رسمية تتمتـع بحمايـة الدولـة وكانـت أولى خطـوات هـذه السياسة بناء المدارس النظامية، وبدأ نظام الملك في بناء المـدارس النظامية في عام (٤٥٧هـ/ ١٠٦٥م) أي بعد عام واحد مـن توليتـه منصب الوزارة[٤٦]، فبنى مدرسة ببغداد ومدرسة بـبلخ ومدرسـة بنيسـابور ومدرسـة بهـراة ومدرسـة بأصـبهان ومدرسـة بالبصرة ومدرسة بمرو ومدرسة بآمل طبرستان ومدرسة بالموصل[٤٧].

وكانت أشهر وأول تلك المدارس مدرسة النظامية في بغـداد، التي انتهـى مـن بناءهـا سـنة (٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م)، وكـان أول مـن درس بهـا الأشـعري أبي إسـحاق الشـيرازي، وقيـل عنهـا أنهـا أول مدرسة نظامية رسمية بنيت للفقهاء على الطريقة الشـافعية[٤٨]، وكانت معقل للشافعية، ولهذا كان في مقدور المدرسين والوعـاظ الشافعيين أن يتخذوها منبرًا لبث آرائهم[٤٩].

وتجدر الإشارة هنا؛ أن هناك انسجام وتقارب بـين الشـافعية والأشعرية وكان جمع لا بأس به من علماء الشـافعية يميلـون إلى الأشعرية، ولو نظرنا إلى مجمل علـماء الأشـعرية لوجـدناهم مـن الشافعية، وقد بين ابن الجوزي استغرابه مـن أن يكـون الحنفـي اشعري أورد ذلك في ترجمته لمحمد بـن احمـد السـمناني فقـال: "وكان أشعريًا وهذا مما يستظرف أن يكون الحنفي أشـعريًا"[٥٠] وقـد عـاب أحـد فقهـاء الحنابلـة عـلى الشـافعية كـثرة تعلقهـم بمقـولات الأشـعرية بقولـه" الشـافعي لم يكـن أشـعريًا وأنـتم اشعرية[٥١]" مما يوضح حالة التقارب بين المذهبين.

وتوضـح الشـروط التـي وضـعت للتـدريس أو الدراسـة في المدرسة النظامية كيف أنها وجدت لخدمة مشايخ وعلماء الشـافعية والأشـعرية، فيقـول ابـن الجـوزي: "أنهـا وقـف عـلى أصحاب الشافعي أصلاً وفرعًا، وكـذلك الأمـلاك الموقوفـة عليهـا شرط فيها أن يكون على أصحاب الشافعي أصـلاً وفرعًا، وكـذلك شرط في المدرس الذي يكون بها الواعظ الـذي يعـظ بهـا ومتـولى الكتب وشرط أن يكون فيها مقـرئ يقـرأ القـرآن ونحـوي يـدرس العربية وفرض لكل قسطا من الوقف[٥٢]"، وأيضًا كان لابـد لكـل من يريد أن يُدرس بالنظاميـة الحصـول عـلى منشـور أو موافقـة مكتوبة من الوزير نظام الملك الذي كان يتدخل أيضًـا في تحديـد أيام التدريس للعلماء[٥٣]، اذا نظرت إلى أبرز العلـماء العـاملين في المـدارس النظاميـة لوجـدتهم مـن قامـات الأشـعرية مثـال أبـو إسحاق الشيرزي، وإمام الحرمين الجويني، وأبو حامد الغـزالي[٥٤]، وأبي إسحاق الإسفرايني وغيرهم.[٥٥]

واهتم نظام الملك بهذه المدارس اشد الاهتمام وخصص للطلاب السكن وبدل المعيش وكان من الطبيعي أن تؤدي هذه الجهود التي بذلها نظام الملك في تشييد هذه المدارس وتيسير سبل العلم فيها، وتوفير الحياة الكريمة بداخلها أن تروج سوق العلم بها٥٦، فكان في نظامية نيسابور لوحدها فكان يقعد بين يدي إمام الحرمين: كل يوم نحو من ثلاثمائة رجل من الأئمة ومن الطلبة[٥٧].

وأيضًـا دفـع هـذا الأمـر إلى تطلـع الأسـاتذة إلى التـدريس بالنظامية حتى وصل الأمر بعضهم إلى أن يضحي في سـبيل هـذه الغاية بالتخلي عن مذهبه في عصر كان التعصب المـذهبي سـمة من سماته البارزة، ومن هـؤلاء: أبـو الفـتح أحمـد بـن عـلي بـن تركان المعروف بابن الحمامي وكـان حنبليًـا، فانتقـل إلى مـذهب الشـافعي، وتفقـه إلى المـذهب الشـافعي وتفقـه عـلى أبي بكـر الشاشي والغزالي، فجعله أصحاب الشافعي مدرسًا، بالنظاميـة[٥٨]، ويبدو أن انتقال الحنابلـة إلى مـذهب الشـافعي في هـذه الفـترة كان أمرًا كثير الحدوث بدرجة أزعجت أحد أئمتهم حيـث ينقـل عنه قوله: إن أكثر أعمال النـاس لا يقـع إلا للنـاس إلا مـن عصـم الله وإنما يحاولون التقرب بها إلى ذوي النفـوذ والجـاه طمعًـا في متاع الدنيا، ويحدث بما حدث عندما جـاءت دولـة نظـام الملـك، وعظـم شـأن الأشـعرية والشـافعية، فوجـد كثـيرًا مـن أصـحاب المـذاهب انتقلـوا عـن مـذاهبهم، وتوثقـوا بمـذهب الأشـعري والشافعي طمعًا في العز والجرايات[٥٩].

يمكـن القـول إن موقـف دولـة السـلاجقة مـن الأشـاعرة في عهدي ألب أرسلان وملكشاه كان واضحًا وثابتًا والفضـل ويرجـع بذلك إلى وزير سلطانهم نظام الملـك، فلـم يتغـير مـوقفهم بعيـد رحيل ألب أرسلان وتولية ملكشاه، وبقي الوزير نظام الملك عـلى رأس عمله، ويظهر جليًا دور علـماء الأشـعرية في خدمـة الحركـة العلمية ونشر المذهب السني على حساب المذاهب الأخرى.

ثانيًا: مهابة السلاطين من علماء الأشاعرة وتقديرهم واحترامهم

كان نظام الملك إذا دخل عليـه الإمـام أبـو القاسـم القشـيري والإمـام أبـو المعـالي الجـويني يقـوم لهـما ويجلـس في مسـنده ويجلـس هـو بـين يديـه فقيـل لـه في ذلـك فقـال: "إن هـذين وأمثالهما إذا دخلوا علي يقولون لي أنت كذا وكذا يثنون علي بما ليس بي فيزيدني كلامهم عجبًا وتيه، وهذا الشيخ يذكر لي عيـوب نفسي وأما أنا فيه من الظلم فتنكسر نفسي لـذلك وأرجـع عـن كثير مما أنا فيه"[٦٠]، ويقول السبكي عنه:" لم يتفق لغيره ما اتفق له من ازدحام العلماء عليه وترادهم إلى بابه وثنائهم على عدله وتأليفهم الكتب باسمه يحضر سماطه مثل أبي القاسـم القشـيري وأبي إسحاق الشيرازي وإمام الحرمين وغيرهم"[٦١]، وكان يتواضـع

في حضرة العلماء ويتضاءل بين العلماء ويتنازل وإن كان منزله أعلى من نجم السماء[٦٢].

ثالثًا: موقف علماء الأشعرية من السلاجقة

كتب الإمام الجويني رسالة متحدثا عن فضل السلاجقة وأعمالهم العظيمة في محاربة أعداء الأمة الداخليين والخارجيين، ومبينًا دورهم في حماية دولة الإسلام ورفعتها فكتب يقول" فأقول ما تشبث به الطاعنون من هنات وعثرات صدرها عن معرة الأجناد المنحرفين عن سنن الاقتصاد في أطراف الممالك والبلاد لو سلم لهم كما يدعون توبعوا فيما يأتون ويذرون ويدعون وغض عنهم طرف الانتقاد فيما يبتدعون ويخترعون فأين يقع ما يقولون مما يدفع الله بهم من معضلات الأمور ويدرأ بسببهم من فنون الدواهي على كرور الدهور أليس بهم انحصار الكفار في أقاصي الديار وبهم يخفق بنود الدين على الخافقين وبهم أُقيمت دعوة الحق في الحرمين وأثبتت كتائب الملة في المشرقين والمغربين وارتدت مناظم الكفار منكوسة ومعالمهم معكوسة وبذل عظيم الروم الجزية والدنية وصارت المسالمة والمتاركة له قصارى الأمنية وانبسطت هيبة الإسلام على الأصقاع القصية، واطلبت على قمم الماردين رايته العلية وأضحت ثغر صدورهم لأسنة عساكر الإسلام دريئة"[٦٣].

مما لا شك فيه؛ أنه هذه الرسالة تبين مدى دفاع علماء الأشاعرة عن السلاجقة ودولتهم ودورهم في إبراز أعمالهم وتذكير الناس بفضلهم على المسلمين، هذا يوضح مدى عمق العلاقة بين الطرفين.

رابعًا: نصح الأشاعرة لسلاطين الدولة السلجوقية

أبدى علماء الأشعرية النصيحة إلى سلاطين الدولة السلجوقية وأمروهم بالمعروف، ونهوهم عن المنكر، وذكروهم بلقاء الله، فهذا العالم أبو إسحاق الشيرازي قام بالإنكار على المفسدين، والذين يبيعون الخمور، وفي إبطال المواجرات وهن البغايا، وكتبوا إلى السلطان في ذلك فجاءت كتبه في الانكار[٦٤]، وأيضًا أبو حامد الغزالي صنف كتاب "التبر المسبوك في نصيحة الملوك" وهو عبارة عن نصائح وتوجيهات للسلطان محمد بن ملكشاه، والذي قال له فيه "اعلم يا سلطان العالم أن الدنيا منزلة وليست بدار قرار، والإنسان مسافر فأول منازله بطن أمه وآخر منازله لحد قبره، وإنما وطنه وقراره ومكثه واستقراره بعدها، فكل سنة تنقضي من الإنسان كالمرحلة، وكل شهر ينقضي منه كاستراحة المسافر في طريقه، وكل أسبوع كقرية تلقاه، وكل يوم كفر سوف يقطعه، وكل نفس كخطوة يخطوها، وبقدر كل نفس يتنفسه يقرب من الآخرة، وهذه الدنيا قنطرة فمن عمر القنطرة واستعجل بعمارتها فني فيها زمانه، ونسى المنزلة التي هي مصيره ومكانه، وكان جاهلاً غير عاقل، وإنما العاقل الذي لا يشتغل في دنياه إلا لاستعداده لمعاده، ويكتفي منها بقدر الحاجة ومهما جمعه فوق كفايته كان سمًا ناقعًا[٦٥]".

وكان الغزالي فساد الملوك والأمراء إلى ضعف العلماء وإهمالهم لواجبهم في قول كلمة الحق عند السلاطين فكان يقول: "إنما فسدت الرعية بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك خوفًا من إنكارهم"[٦٦].

وفي خلاصة الأمر يبقى التساؤل هنا ما الذي دفع دولة السلاجقة إلى التمسك بعلماء الأشاعرة وتقريبهم من الدولة؟ وبل تمكينهم في الدولة وبناء المدارس لنشر أقوالهم ومذاهبهم؟ وللإجابة على ذلك يجب التنويه إلى أن دولة السلاجقة عاصرت أفكار وفرق متباينة مختلفة كانت منتشرة في العالم الإسلامي كالمعتزلة، والباطنية، وبقايا القرامطة وغيرهم من أصحاب الملل والنحل، كذلك المد الشيعي والإسماعيلي الرافضي- الذين كانوا يشكلون خطرًا عسكريًا وفكريًا على الدولة الإسلامية ووجودها، فكان لابد من الاستعانة بمجموعة من العلماء الأقوياء للوقوف في وجهه هذه الأخطار.

وفعلاً لو نظرنا إلى جهود علماء الأشاعرة فسنجد أن لهم الدور البارز في الحد من هذه الأخطار ومحاربتها، فكان للأشعري السبق في مجابهة المعتزلة ومجابهتهم، فقد حارب الأشعري المعتزلة بأسلحتهم فاستعان بالمنطق والفلسفة في محاجتهم والرد على أقوالهم، وأكمل من بعده الغزالي الذي ألف كتاب تهافت الفلاسفة. كذلك صنف علماء النظاميات مؤلفات علمية ناقشت أفكار الباطنية، ووضحت موقف أهل السنة منها: ومن هذه المؤلفات كتاب "فضائح الباطنية" لأبي حامد الغزالي، الذي فند وأظهر الباطنية وضلالاتهم وفنون مكرهم.

وبدأ التفكير الفعلي في إنشاء هذه المدارس النظامية للوقوف أمام المد الشيعي الإمامي والإسماعيلي الرافضي- فأن الاقتصار على مقاومة الشيعة الإمامية والإسماعيلية الباطنية سياسيًا لن يكتب له النجاح على المدى البعيد؛ إلا إذا وازى هذه المقاومة السياسية مقاومة فكرية، ذلك أن الشيعة، إمامية كانوا أو إسماعيلية نشطوا في هذه الفترة وما قبلها إلى الدعوة لمذهبهم بوسائل فكرية متعددة وهذا النشاط الفكري ما كان ينجح في مقاومته إلا نشاط سني مماثل يتصدى له بالحجة والبرهان.

خَاتِمَةٌ

مرت علاقة الأشاعرة بسلاطين السلاجقة العظام بمرحلتين أولها في عهد طغرلبك عانى خلاها الأشاعرة من الملاحقة والاضطهاد، ولكن بمجيء ألب أرسلان ووزيرة نظام الملك بدأت مرحلة جديدة ساد فيها الأشاعرة وانتشر مذهبهم.

كان للوزراء وتوجهاتهم الفكرية والمذهبية دور بارز في تحديد وتوجيه العلاقة بين السلاطين السلاجقة وعلماء الأشعرية.

وجود المذاهب والفرق الدينية المنحرفة ساهم في تقارب العلاقة بين الأشاعرة والدولة السلجوقية، فكان لكل طرف في حاجة للأخر لمواجهة تلك الفرق.

انتمى للمذهب الأشعري اقوى أشهر علماء ذاك الزمن كالجويني، والغزالي، والشيرزي وغيرهم ولازت علومهم تدرس وتناقش إلى يومنا هذا، وكان هذا سبب في تقرب السلاجقة إليهم.

يمكن اعتبار أن الوزير نظام الملك الشخصية الأبرز التي ساهمت في توجيهم العلاقة بين الأشاعرة والدولة السلجوقية.

بنهاية مرحلة السلاجقة العظام نجد أن الدولة السلجوقية حققت نتائج عظيمة من وراء علاقتها بالأشاعرة فقد مكنوا حكمهم وساعدوهم في نشر المذهب السني، ومحاربة المذاهب والفرق الأخرى.

استفاد أيضًا الأشاعرة من الدولة السلجوقية، فقد أصبحت مقدرات الدولة تصرف عليهم وبنت المدارس النظامية لنشر مذهبهم في ربوع الدولة السلجوقية، وفعلاً انتشر مذهبهم بعدما كانوا أقلية مذمومة.

الهَوامِشُ:

(١) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري. (٦٣٠هـ). **الكامل في التاريخ**. (١٠ج). (تحقيق عمر عبد السلام تدمري). (ط١). بيروت – لبنان: دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م. ج٥، ص٨؛ الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج٤٢، ص٢٩.

(٢) الذهبي: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**. (١٥ج). (ط١). (تحقيق بشار عواد معروف). (د. م). دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م. ج٣٠، ص٣٨٠.

(٣) انظر: ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص١٦٢؛ الأصفهاني، عماد الدين الكاتب محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد بن أله، أبو عبد الله. (٥٩٧هـ). **تاريخ دولة آل سلجوق**. (١ج). (تحقيق يحيى مراد). (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص١٤،١٥.

(٤) الأصفهاني: **تاريخ دولة آل سلجوق**، ص١٨.

(٥) المصدر السابق، ص٢١

(٦) الحسيني، صدر الدين. أخبار الدولة السلجوقية. (١ج). (ط١). دار الآفاق الجديدة. ١٩٨٤م، ص٢١؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٨، ص ١٨٥.

(٧) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز. (٧٤٨هـ). سير أعلام النبلاء. (١٨ج). (د. ط). القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ج١٩، ص٩٦.

(٨) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص١٩٤-٢٠٠.

(٩) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص٢٢٦؛ الأصفهاني، **أخبار دولة آل سلجوق**، ص37 .

(١٠) الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج١٤، ص٤٩٦؛ ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص٢٣١.

(١١) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص٢٣٣.

(١٢) المصدر السابق، ص٢٩٦؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي. (٦٨١هـ). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. (٧ج). (تحقيق إحسان عباس). (د. ط). بيروت: دار صادر، ١٩٠٠م-١٩٩٤م، ج٥، ص٢٨٤.

(١٣) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص٢٥٥.

(١٤) الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج١٤، ص١٢٦؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي. (٧٧٤هـ). **البداية والنهاية**. (١٥ج). (ط١). (تحقيق علي شيري). (د. م). دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج١٢، ص١٧٦.

(١٥) ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي. (٨٧٤هـ). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. (١٦ج). (د. ط). مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي-دار الكتب، (د. ت)، ج٥، ص١٣٨؛ ابن الأثير، ج٨، ص٤٨٣؛ أبو النصر، محمد عبد العظيم يوسف. **السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري**. (ط١). ٢٠٠١م، ص١١١.

(١٦) **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**. (٢ج). (ط٤). دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ، ج١، ص٨٣.

(١٧) حمودة، عبد الفتاح: **التحولات المذهبية العقائدية**، ص٢٤.

(١٨) الرازي: **أساس التقديس في علم الكلام**، ص١٣٠.

(١٩) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (٧٢٨هـ). **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**. (٢ج). (تحقيق ناصر عبد الكريم العقل). (ط٧). بيروت-لبنان: دار عالم الكتب. (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ج١، ص١١٨، ١١٩.

(٢٠) الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج١٥، ص٨٥-٩٠.

(٢١) ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج٣، ص٢٨٥.

(٢٢) البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب. **تاريخ مدينة السلام (تاريخ بغداد) وذيله والمستفاد**. (٢١مج). (تحقيق بشار عواد معروف). (ط١). دار الغرب الإسلامي، ١٤٥٥هـ/ ٢٠٠١م، ج١٣، ص٢٦٠.

(٢٣) ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج٣، ص٢٨٤.

(٢٤) **طبقات الشافعية**، ج٣، ص٣٤٧.

(٢٥) المصدر السابق، ص٣٥١.

(٢٦) ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج٣، ص٢٨٤.

(٢٧) الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج٢٨، ص٨٨؛ **ابن العماد**، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي. (١٠٨٩هـ). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. (١١ج). (ط١). (تحقيق محمود الأرناؤوط). دمشق، بيروت: دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج٣، ص٧٥.

(٢٨) ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج١٢، ص١٥٣.

(٢٩) ابن كثير: المصدر السابق، ص١١٤؛ الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج٣٥، ص١١٥.

(٣٠) ابن كثير: المصدر السابق، ص٣٠؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله. (٧٦٤هـ). **الوافي بالوفيات**. (٢٩ج). (تحقيق أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى). (د. ط). بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج٦، ص٦٩.

(٣١) ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج١٢، ص١٥٧؛ ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج٩، ص٢٤.

(٣٢) ابن خلكان: ج٤، ص٢٤٩.

(٣٣) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص٤٨١؛ السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين. (٧٧١هـ). **طبقات الشافعية الكبرى**. (١٠ج). (ط٢). (تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو). (د. م). هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ، ج٣، ص٣٩٠.

(٣٤) الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج٣٠، ص١٣؛ ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج١٢، ص٨١.

(٣٥) السبكي: **طبقات الشافعية الكبرى**، ج٣، ص٣٩٠؛ الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج١٨، ص١١٤" ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج١٢، ص٨٦.

(٣٦) السبكي: **طبقات الشافعية الكبرى**، ج٣، ص٣٨٩.

(٣٧) الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج١٨، ص١١٤؛ ابن الوردي، أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس المعري الكندي. (٧٤٩هـ). **تاريخ ابن الوردي "تتمة المختصر"**. (٢ج). (ط١). بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ج١، ص٣٥٨.

(٣٨) السبكي: **طبقات الشافعية الكبرى**، ج٣، ص٣٩٠.

(٣٩) ج٣، ص٢٩١.

(٤٠) السبكي: **طبقات الشافعية الكبرى**، ج٣، ص٣٩١-٣٩٢.

(٤١) ابن الوردي: **تاريخ ابن الوردي**، ج١، ٣٥٨؛ ابن الأثير: **البداية والنهاية**، ج١٢، ص١١٠.

(٤٢) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص٤٨١؛ الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج٣٠، ص٢٨٤.

(٤٣) ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج١٢، ص١٧٦.

(٤٤) السبكي: **طبقات الشافعية الكبرى**، ج٤، ص٣١٣.

(٤٥) الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج٣٠، ص٢٨٤.

(٤٦) ابن تغردي: **النجوم الزاهرة**، ج٥، ص٨٤؛ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. (٥٩٧هـ). **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**. (١٩ج). (ط١). (تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا). بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ج٨، ص٢٤٦.

(٤٧) السبكي: **طبقات الشافعية الكبرى**، ج٤، ص٣١٣.

(٤٨) ابن الجوزي: **المنتظم**، ج٨، ص٢٤٦؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (٩١١هـ). **تاريخ الخلفاء**. (١ج). (ط١). (تحقيق حمدي الدمرداش). (د. م). مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ج١، ص١١٣.

(٤٩) الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي. (٤٧٦هـ). **طبقات الفقهاء**. (ط١). (تحقيق إحسان عباس). لبنان-بيروت: دار الرائد العربي. ١٩٧٠م، ج١، ص٥.

(٥٠) المنتظم، ج٨، ص٢٨٧.

(٥١) المصدر السابق، ج٩، ص٥٨.

(٥٢) المصدر السابق، ص٦٦.

(٥٣) الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج ٣٣، ص١٣.

(٥٤) ابن الوردي، ج٢، ص٢٠.

(٥٥) السبكي: **طبقات الشافعية الكبرى**، ج٤، ص٣١٤.

(٥٦) المصدر السابق، ص٣١٤.

(٥٧) الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج٣٢، ص٢٣١؛ السبكي: **طبقات الشافعية الكبرى**، ج٥، ص١٧١.

(٥٨) ابن الجوزي: **المنتظم**، ج٩، ص٩٣.

(٥٩) المصدر السابق، ص٢٥١.

(٦٠) ابن كثير: **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص٤٨١.

(٦١) **طبقات الشافعية الكبرى**، ج٤، ص٣١٣.

(٦٢) السبكي: **طبقات الشافعية الكبرى**، ج٤، ص٣١٠.

(٦٣) الجويني، إمام الحرمين أبو المعالي. **غياث الأمم في التياث الظلم**. (١مج). (د. ط). دار الدعوة للطبع والنشر، ج١، ص٢٥٠.

(٦٤) ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج١٢، ص ١٢٨.

(٦٥) الغزالي، محمد بن محمد بن محمد. **التبر المسبوك في نصيحة الملوك**. (١ج). (ط١). (تحقيق أحمد شمس الدين). دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ج١ ص١٤.

(٦٦) الغزالي: **إحياء علوم الدين**، ج٢، ص١٥٠.